الباب الأول

الثّوابت

١ـ فلسطين عربيةٌ إسلاميّة منذ فجر التاريخ.

٢ـ فلسطين قلبُ العالميْن العربي والإسلامي، وبوّابته الغربية.

٣ـ الصهيونية دعوةٌ عنصريّة خطيرة على البشرية.

٤ـ المجازر الصهيونية في فلسطين توجِبُ القَصاص من الفاعلين.

٥ـ التّنازل عن أي جزءٍ من فلسطين يحرُمُ شرعًا.

الفصلُ الأوّل

الثّوابت التاريخيّة

فلسطين عربيّةٌ إسلاميّة

١ـ فلسطين عربيةٌ منذ فجر التاريخ إلى اليوم.

٢ـ أتباع موسى لم يكونوا من قبيلة يعقوب (بني إسرائيل) فقط ولكنّهم كانوا من عموم البشر في المنطقة، وأغلب المؤمنين وأفضلهم كانوا من المصريين.

٣ـ أنبياء الله ورسلُه لم يكونوا دُعاة استيطان أو احتلال.

٤ـ القرآنُ الكريم هو الذي حفظ تاريخَ موسى ورسالته.

٥ـ الشعوبُ العربية لن تقبل تقسيمَ فلسطين، والمقاومة لمْ ولنْ تتوقّف.

١ـ فلسطين عربيةٌ منذُ فجر التاريخ:

تدلّ حقائق التاريخ دلالةً قاطعة على عروبة أرض فلسطين، وعمقِ الجذور العربية في تُربتها المباركة.

فأقدمُ شعبٍ معروف سكن فلسطين هُم (الكنعانيون) الذين قدموا من جزيرة العرب منذ نحو ٤٥٠٠ عامًا، وعرفت أوّل الأمر باسم «أرض كنعان» وشعبُ فلسطين الحالي هُم سلائل الكنعانيّين، ومَن اختلط بهم بعد ذلك مِن شعوب شرق البحر المتوسط أو الفلسطينيّين، والقبائل العربية.

وأهلُ فلسطين هُم أنفسهم الذين أسلمَ أغلبيتُهم الساحقة، وتعرّبت لغتُهم مع قدوم الإسلام. وبهؤلاء السّكان المسلمين تأكّدت الهويّة الإسلامية لفلسطين لأطول فترة تاريخية متّصلة منذ الفتح الإسلامي لها في ١٥هـ/ ٦٣٦م حتى الآن.

وتدلّ حقائق التاريخ- كذلك- على أنّ اليهودَ قد انقطعت صلتهم بأرض فلسطين نحو ١٨٠٠ عامًا منذ ١٣٥م وحتى عام ١٩١٧ (بداية الاستعمار البريطاني، والهجرة اليهودية إلى فلسطين).

وأثناء هذه الفترة الطويلة لم يكنْ لهم تواجدٌ سياسي أو حضاري أو ريادي على أرض فلسطين.

وتؤكّد الإحصاءات والدراسات المعتمدة أنّ ٨٠٪ من الصهاينة المستعمرين لفلسطين اليومَ لا يمتّون تاريخيًّا بأي صلةٍ لفلسطين كما لا يمتّون قوميًّا لبني إسرائيل.

كما تؤكّد الدراسات المعتمدة أنّ الأغلبية الساحقة للمستعمرين الصهاينة تعود أصولهم إلى قومية الخزر «الأشكيناز» وهي قبائل تَتَرية قديمة، موطنُها الأصلي شمال القوقاز، وتهوّد بعضها في القرن الثامن الميلادي.

٢ـ أغلبُ المؤمنين بموسى كانوا من المصريّين:

وعقيدتنا التاريخية الثابتة بالأدّلة والبراهين أنّ أنصار موسى (عليه السلام) كانت أغلبيتُهم من المصريّين القدماء، وأقليّتهم من بني إسرائيل، ودليلُنا على ذلك أنّ الله ضرب مثلًا للذين آمنوا بموسى مِن النساء بامرأة فرعون، ومِن الرجال برجل مؤمن مِن آل فرعون يكتمُ إيمانه، ولم يذكرِ القرآن بني إسرائيل في عهد موسى إلّا وذمّهم لنكوصِهم عن مناصرته حتى قالوا: اذهبْ أنت وربك فقاتلا إنّا ها هنا قاعدون، وقبلُ ذلك عبَدوا العجلَ من دون الله، وموسى (عليه السلام) لم يكن مضى على سفره إلّا أيام.

وتدلّ وقائع التاريخ دلالةً قاطعة بأنّ الحركة الصهيونية المعاصرة حركةٌ عنصرية فاشيّة استعمارية، تتّخذ من الدين غطاءً لها، وهي لا تمتّ بصلة إلى أي دين أو نبي أو رسالة.. بل على العكس من ذلك تمامًا فإنّ الحركة الصهيونية تخالف كلّ تعاليم السماء، وكلّ هداية الأنبياء في واقعها وتاريخها، وهي التي تقف خلف كلّ رذيلة وفاحشةٍ في عالم اليوم حتى صار هذا مِن المسَلَّمات، فللصهاينة علاقةٌ وثيقة بالمخدرات، وتجارةِ الرّقيق الأبيض والربا والخمور وإشاعة الفاحشة بكلّ أشكالها ومؤسساتها العالمية، وللصهاينة علاقةٌ أكيدة بالحروب العالمية والمحليّة والنّكسات الاقتصادية والنزعات الإقليميّة، وكأنّهم شيطانٌ رجيم جنّد نفسه للغواية والفساد.

٣ـ أنبياءُ الله ورسله لم يكونوا دعاةَ استيطان أو احتلال:

فمِن الثابت تاريخيًّا أنّ الأنبياء والمرسلين بعثهم الله على فتراتٍ متعاقبة لهداية الخلق إلى الحقّ «سبحانه وتعالى»، وكانت الأمم والشعوب تنقسم أمامَ دعوة الله إلى مصدّقين ومكذبين، وبذلك كانت تتشكّل الأمة المسلمة في كلّ عصرٍ من جموع المصدّقين التابعين لنبي الله أو لرسوله، ولم يكنْ هناك تفاضلُ بين أتباع الأنبياء والرسل إلّا على أساس التقوى والعمل الصالح.

وقد انطبقت هذه القاعدة على أبناء يعقوب (إسرائيل في اللّغة العبرية) كما انطبقت على غيرهم.

والإلمامُ التاريخي بحركة الأنبياء والرّسل مِن لدُن إبراهيم (عليه السلام) وحتى بعثة محمدّ ﷺ تدلّ على ذلك وتؤكّده.

فإبراهيم (عليه السلام) لم يكن قوميًّا ولا عنصريًّا بل كان حنيفًا مسلمًا يبحث دائمًا عن أرضٍ تستجيب لدعوة الله ممّا دفعه للهجرة من موطنه الأصلي (أرض الرّافدين) إلى بيت المقدس، وذلك لما لاقاه من عنتٍ وصدود من قومه الذين كانوا يعبدون الأصنامَ والشمس والقمر والنجوم، وتبعهُ في ذلك نبيُّ الله لوط (عليه السلام) حيث هاجرَ معه، واستقرّ على مقربةٍ منه في أرض بلاد الغور بفلسطين، وشرع في دعوة الناس إلى الله.

وأمّا إبراهيم (عليه السلام) فقد التقى بالملائكة، وهُم مارُّون في طريقهم لإنفاذ أمر الله في قوم لوط حتى أخبروه أنّ أمرَ الله قد صدر، ولا معقّب لحكمه، ولا رادّ لقضائه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا

حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ (هود: ٨٢، ٨٣) ولكنّ الملائكة بشّروه في هذا اللّقاء بميلادِ إسحاق من السيدة سارة، وكذلك بميلاد يعقوب من إسحاق كما كان له من قبْل إسماعيل مِن السيدة هاجر، وبذلك بدأتْ سلسلة النبوّات في أبناء إبراهيم (عليه السلام) فكان إسماعيل نبيًّا وكان إسحاق وكان يعقوب (إسرائيل) ثمّ كان ليعقوب اثنا عشر ولدًا أشهرُهم يوسف (عليه السلام).

لقد كان يعقوب (إسرائيل) على دين أبيه إسحاق وجدّه إبراهيم عليهما السلام- وهو الإسلام- أي أنه لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ (البقرة: ١٣٥-١٣٦).

٤ـ القرآنُ الكريم هو الذي حفظ تاريخَ موسى وكلّ الأنبياء والرسل:

ولعلّ هذا من فضل الله (عز وجل)، أن يحفظ لنا أخبارَ هؤلاء الأنبياء (عليهم السلام)، لقد سبق في علمِه (سبحانه وتعالى) أنّ اليهود سيزيّفون تاريخ الرسل والأنبياء ويشوّهونه، بل ويجهلون به؛ تحقيقًا لأهدافهم الخبيثة، فأنزل الله (سبحانه وتعالى) مِن علمه المكنون وحيًا على قلبِ رسول الله محمدّ ﷺ بيانًا شافيًا كافيًا فيما يتّصل بحقيقة الأمر وهو:

إنّ إبراهيم نبي مسلم، وإسحاق نبي مسلم، ويعقوب نبي مسلم، وأبناء يعقوب والأسباط مسلمون، وداود نبي مسلم...

ويتجلّى ذلك واضحًا- أيضًا- في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾، ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣﴾ (البقرة آية ١٢٨: ١٣٣) فإبراهيم (عليه السلام) يدعو الله هو وإسماعيل أن يكونا مسلميْن ومِن ذريتهما أمّة مسلمة.

والله (سبحانه وتعالى) يطلب مِن إبراهيم أن يكون مسلمًا فيعلنُ إبراهيم إسلامَه.

ووصّى بها إبراهيمُ ويعقوب أبناءهما أن يكونوا مسلمين يعيشون على الإسلام، ويموتون عليه. وحينما حضرتْ يعقوب الوفاة ذكَّر أبناءه بوصيّته، وأخذ عليهم العهد أن يكونوا مسلمين، وأن يموتوا على الإسلام. فلله الحمدُ والمنّة، فلولاه (سبحانه وتعالى) لما أمكن للبشريةِ أن تعرف تلك الأنباء التي وقعت منذ أربعة آلاف عام أو يزيد، وما كان لنا أن نتعرّف على حقيقة الدّين الذي كان يدين به هؤلاء الأنبياء (عليهم السلام) وما يترتّب على ذلك من أحكام شرعيّة في تعامل المسلم مع غيره من الناس.

ومِن ذلك يتّضح بجلاءٍ أنّ الصهاينة المعاصرين لا علاقة لهم بإسرائيل، وأنهم ليسوا على دينه وملّته، بل على العكس والنقيض فهُمُ الآن يشيعون في العالم كلّ محرم ومنكرٍ وفاحشة مِن خمر ومخدرات وربا وفحش وزنا، وهُمْ صنّاع ذلك كلّه ومروّجوه والساهرون عليه.

ومِن الثابت تاريخيًّا أيضًا أنّ يعقوب (عليه السلام) ولد له ذريةٌ ونسلٌ كثير، وكانوا يسمّون «قبائل» كما ولد له اثنا عشر ولدًا، وكان لكلّ ولد قبيلة (سبط) في اللّغة العبرية، وجمعها أسباط. وهؤلاء الأبناء الاثنى عشر يمثّلون الجيلَ الأول من بني يعقوب (بني إسرائيل) كانوا جميعًا من الصالحين، ولكنْ على درجات متفاوتة مِن الصلاح، وكما عُرف ذلك مِن خلال سورة يوسف وتفضيل يعقوب لبعض أبنائه على البعض الآخر، وكان أحبّ الأبناء إليه يوسف (عليه السلام).

كادَ إخوة يوسف له حتى كان من أمره ما قصّه القرآن بالتفصيل في سورة يوسف حتى استقرّ مقامه في مصر، وأصبح وزيرًا للخزانة عند الحاكم المصري في ذلك الوقت. وقام يوسف (عليه السلام) بدعوة أبويه وبقية عائلته (بني إسرائيل) ليعيشوا في كنفه وتحت رعايته في مصر.

وعاش إخوة يوسف «أبناء يعقوب النبي المسلم» بين ظهرانيّ سكان وادي النيل قرونًا عديدة، ويبدو أنّ الإسلام قد انتشر على أيديهم، واستمرّ الحال هكذا، حتى بدأت الدّعوة تخبو في النّفوس والصدور، وبدأ بنو إسرائيل الممكّنون يزحزحون عن مكان القيادة؛ لأنّ الخيرية بدأت تنزع عنهم تدريجيًّا بسبب بعدهم التاريخي عن نظام الإسلام وشريعته، سلّط الله عليهم الفراعنة، فأسقطوا نظامَ الحكم الذي قام

على أكتاف يوسف (عليه السلام)، والذي تسمّيه الكتب (حكم الهكسوس)، وقام مكانه نظامٌ وثني جاهلي طاغوني هدفُه: أن لا يكون على أرض وادي النيل إنسانٌ يقول: لا إله إلا الله.

وهذا سببُ الحقد الأساس من الفراعنة على بني إسرائيل؛ لأنّ بني إسرائيل (إخوة يوسف) كانوا مسلمين، والإسلامُ يقوم على قاعدة (لا إله إلا الله) أي لا معبودَ بحقّ إلّا الله، أي لا سلطان مع سلطان الله، وذلك يعني سقوطَ سلطان الطواغيت ومنهم الفراعنة، وهذا هو السببُ الحقيقي لعَدَاء الفراعنة لبني إسرائيل.

وفي ظلّ النظام الفرعوني عاش بنو إسرائيل في مصر مستذلّين كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ ولعلّ ما أصابهم كان من الابتلاء بالضرّاء لعلّهم يرجعون.

عاش بنو إسرائيل بين ظهرانيّ سكان وادي النيل (مصر) وهي محكومةٌ بنظام فرعوني طاغوني- أو ما يسمّونه حكم الدولة الحديثة (١٥٧٠-١٠٩٠ ق.م)؛ ادّعى الألوهيّة والربوبية، وكان لا يطيق أنْ يرتفع صوت بـ(لا إله إلا الله).

وعاش بنو إسرائيل مضطهدين، ولكن رغم ذلك محتفظين- لا أقولُ جميعهم وإنما الكثيرون منهم- بأصلِ ديانته وعقيدته وهي الإسلام، ولم يتجاوزوها إلى عبادة آلهة المصريّين سواء أكانت أوثانًا أو حكّامًا.

خلاصاتٌ مهمّة:

وممّا تقدّم من سردٍ تاريخي تتّضح لنا عدة خلاصات مهمّة للغاية فيما يتعلق بموضوعنا، نوضّحها كما يلي:

١ـ أنّ إبراهيم وذريته: إسحاق ويعقوب والأسباط «أبناء يعقوب» كانوا قبيلةً واحدة من بين شعبٍ بأسره كان يسكن أرض فلسطين وما حولها، وأنّ الذين آمنوا بدعوة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، والذين يشكّلون في مجموعهم الأمة المسلمة في ذلك الوقت؛ كانوا جزءًا من الشعب الكبير الذي سكن هذه المنطقة، وليس صحيحًا ذلك الادّعاء القائل بأنّ فلسطين وما حولها كانت ملكًا لقبيلة واحدة دون الناس.

٢ـ أنّ إبراهيم وذريّته مِن بعده لم يكونوا مهتمّين بتملّك الأرض، إنما كان جلّ همّهم وشاغلُهم الأعظم هو نشرَ دعوة الإسلام، وتثبيتَ أركان الدين، ولذلك لم يتردّد إبراهيم ومعه لوطٌ في ترك موطنهم الأصلي، والهجرة إلى بيت المقدس، وكذلك لم يتردّد يعقوب وبنوه في الذّهاب إلى مصر حيث الأرض المناسبة لنشر الإسلام، والدّعوة إليه في كنف يوسف (عليه السلام).

لقد أحدثتِ الصهيونية تحوّلًا جذريًّا في اليهودية عندما جعلتِ الأرض هي المعبودَ وليس الله الذي بشّر الرسل بعبادته.

وبذلك يتّضح لنا- بجلاء- أنّ الدعوة الاستيطانية للصهاينة المعاصرين والذين أثبتنا آنفًا أنهم بعيدون كلّ البُعد عن دين يعقوب؛ ليست إلّا دعوةً عنصرية ونعْرة جاهلية باغية، وبغير سندٍ تاريخي أو ديني.

بعثَ الله موسى من بني إسرائيل رسولًا إلى فرعون، وكان بينهما صراعٌ طويل انتهى بهلاك فرعون وغرقه في البحر.

وتشكّلت أمةُ موسى عن حشدٍ كبير من الناس منهم المصريّون كسحرة فرعون، الذين آمنوا بربّ هارون وموسى، والمؤمنُ من آل فرعون الذي كان يكتمُ إيمانه، وامرأةُ فرعون، وكثيرٌ غيرهم، وكذلك من بني إسرائيل. وبذلك يسقط ادّعاء الصهاينة المعاصرين أن أمّة موسى كانت محصورةً في بني إسرائيل.

وقد خضعتِ الأمة المسلمة في عهد موسى لذاتِ القانون الذي طبّق على مدار التاريخ، فمَن استمرّ مِن هؤلاء على إيمانه وتقواه والاستمساك بدين الله؛ فهو مِنَ المسلمين ومِن أمة موسى، ومَن خالف وعصى وغدر وخان؛ فقدْ كفرَ وصار من الكافرين، لا فرق في ذلك بين مصري مِن أصل فرعوني أو آخر يعقوبي (إسرائيلي)، ولعلّ أشهر أمثلة الكفر والفسوق كانت من بني إسرائيل، وعلى رأسهم قارون الذي خسفَ الله به وبداره الأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ ...﴾ (القصص: ٧٦).

ومن الثابت تاريخيًّا أنّ موسى دعا قومَه للجهاد في سبيل الله لفتح البلاد المجاورة، وهي بيت المقدس وما حوله في ذلك الوقت، ولكنّهم نكصوا وتخاذلوا عن الجهاد، وقالوا لموسى: اذهبْ أنت وربّك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، فعاقبهم الله بالتّيه أربعين سنة توفي في أثنائها موسى (عليه السلام) وخلفه في قيادة القوم صالحون آخرون منهم يوشع بن نون الذي قاد عملية الجهاد ضدّ الجبابرة الذين كانوا يسكنون فلسطين، ونصره الله عليهم، ودخل بيت المقدس بجيشٍ من الصالحين.

وهكذا عاشت الأمة الإسلامية في كلّ مِن مصر وسيناء وفلسطين وشمال الجزيرة العربية وبعض أرض العراق، واستتبّ لها الأمر في هذه المنطقة، ولكنّها كالعادة البشرية ضعُفَ استمساكها بالرسالة السماوية، فأرسل الله رسلًا مبشّرين ومنذرين حتى كانت رسالة عيسى (عليه السلام)، وعندما بعث عيسى آمنَ به مَن آمن، وكفرَ به مَن كفر، غير أنّ معظم الكافرين والمتآمرين عليه كانوا مِن بني إسرائيل حتى همّوا بقتله، فاقتضتْ إرادةُ الله أن ينتهي بذلك دورُ هذه الفئة البشرية فيما يتعلق بالدعوة إلى الله وحمل رسالته، فكانت نبوةُ محمدٍ ﷺ وهو مِن نسل إسماعيل إعلانًا لانتقال الخيريّة إلى نسل إسماعيل.

ولئن كانَ حقدُ بني إسرائيل قد وقعَ على أنبياء مِن بني جلدتهم فقد كان حقدهم على النبي الجديد وهو مِن نسل إسماعيل أكبر، فوقفوا منه موقفَ المحاربين والمعاندين الصادّين عن سبيل الله، فتصدّى لهم وحي الله يكشفُ حيلَهم ومكرهم ومواقفَهم التاريخية المخزية.

انتهى الأمر في النهاية بهزيمتهم المنكَرة في ميدان العقيدة وميدان الحرب في آنٍ واحد، وبعد وفاته ﷺ أكمل صحابتُه مِن بعده فتح البلدان المجاورة وعلى رأسها بلاد الشام، وأهمّها بيت المقدس الذي فتحَه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيه المسجدُ الأقصى أولى القبلتين، وثالث الحرمين، ومسرى رسول الله ﷺ، وكنيسة القيامة، وكنيسة بيت لحم، وكلّها آثارُ الأنبياء والمرسلين الذين يعتبرون جزءًا من إيمان المسلم، وقد فرضَ الله على المسلمين حمايةَ هذه الآثار المقدسة وتحريرَها.

ثمّ دار التاريخ دورتَه، وضعف أخذُ الناس بالإسلام، وضعفت شوكتُهم، ودارت المعارك بينهم وبين أعدائهم سجالًا فكانَ النصر للجاهلية متمثّلة في التتار، ثمّ هزيمتهم على يدِ قطز في عين جالوت، ثمّ انتصرت الجاهلية متمثّلة في الصليبيين،

ثمّ كانت هزيمتُها على يدِ البطل صلاح الدين ومَن معه من الصالحين، ثمّ كان عصر الاحتلال العسكري الذي ابتليت به البلدان الإسلامية، والذي مكّن للصهاينة في أرض فلسطين والذين لا يزالون يحتلّونها حتى الآن، وإنّ هزيمتَهم لآتية لا ريبَ فيها عندما تأخذُ الأمة الإسلامية بأسباب النصر التي شرعها الله (سبحانه وتعالى) وصدقَ الله العظيم القائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (الأنفال: ٣٦).

فهل يبقى للصهاينةِ- بعد ذلك- ما يسمّى بالحقّ التاريخي في فلسطين!؟

ومِن أين لهم هذا الحقّ وحقائقُ التاريخ بين أيدينا جليّة واضحة نستقيها من كتاب الله (جلّ وعلا) الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه، ولا من خلفه، ومِن سنة نبيّه ﷺ وسيرته المطهرة، ومِن الواقع الذي عاشته أمتُنا في صراعها مع هذه الفئة الباغية والعصابة المجرمة.

إنّ الوحيَ والتاريخ والواقع أثبت أنّ هؤلاء ليسوا إلّا محتلين كغيرهم مِن التتار والمغول والصليبيّين والإنجليز والفرنسيّين إنّه احتلال ككلّ احتلالٍ مرّ بالمنطقة، وإن خروجهم من فلسطين أذلةً صاغرين هي الحقيقة التاريخية الوحيدة بإذن الله.

إنّ قوافل الأحباش الفلاشا والهنود واليهود والرّوس الملحدين والأمريكان شذّاذ الآفاق، وكلّ مَن هبّ ودبّ مِن الحثالات البشرية الذين يتوافدون على فلسطين في هجرةٍ جماعية لم يسبق لها مثيل؛ دليلٌ شاخصٌ بين أيدينا على أنّ المحتلّين الصهاينة ليسوا أصحاب الأرض كما يزعمون.

٥ـ الشعوبُ العربية لم تقبل تقسيم فلسطين والمقاومةُ لمْ ولنْ تتوقّف:

٥٠٠٠ عامٍ مضتْ على بدء النضال العربي والإسلامي دفاعًا عن فلسطين..

فقبل ميلاد السيد المسيح (عليه السلام) بحوالي ٣٠٠٠ عامًا قاتلت قبائلُ الكنعانيّين العرب والآراميّين العرب غزاةَ أرضهم فلسطين.

وبعد ميلاد المسيح بـ ٦٣٧ عامًا.. قاتل العرب المسلمون لتحرير فلسطين من المحتلّين الرومان. وبعد ميلاد المسيح بـ ١٠٩٩ عامًا.. قاتل المسلمون الجيوشَ الصليبية لمدّة قرنين من الزمان دفاعًا عن فلسطين إلى أنْ تمّ تحريرها كاملة.

وبعد ميلاد المسيح بـ ١٢٦٠ عامًا.. قاتل المسلمون التتارَ في عين جالوت بالقرب مِن بيسان، وحرّروا فلسطين منهم.

وبعد ميلاد المسيح بـ ١٨٥٠ عامًا.. رفض السلطانُ العثماني المسلم عبد المجيد مشروعًا بريطانيًّا لتهجير اليهود إلى فلسطين، كما قام ابنُه السلطان عبد الحميد في عام ١٨٩٢ بطردِ المستوطنين بالقوّة.

وبعد ميلاد المسيح بـ ١٩٠٠ عامًا.. كان الشعب الفلسطيني قد بدأ كفاحَه ضد الغزو الاستيطاني الصهيوني.

وبعد ميلاد المسيح بـ ١٩٤٨ عامًا.. خاضت البلدانُ العربية حربًا لتحرير فلسطين من البحر إلى النهر.

وبعد ميلاد المسيح بـ ١٩٦٧ عامًا.. ورغم الهزيمة.. رفض الحكامُ العرب الاعترافَ بإسرائيل في مؤتمرهم بالخرطوم عاصمةِ السودان وأعلنوا لاءاتهم الثّلاث (لا صلح ولا تفاوض ولا اعتراف بإسرائيل).

وبعد ميلاد المسيح بـ ١٩٧٩ عامًا.. بدأ التآكلُ في المواقف العربية الرسميّة باعتراف مصر بإسرائيل، واستمرّ التآكل العربي الرسمي إلى قمّة فاس في ١٩٨٢ بقبول مبادرة السعودية إلى مؤتمر مدريد في ١٩٩٢ إلى أوسلو ١٩٩٣ واتفاق غزة/ أريحا، إلى معاهدة السلام الأردنية- الإسرائيلية في ١٩٩٤ والاستباق إلى علاقات شرق أوسطيّة مع الدّولة الصهيونية إلى اختتام عام ١٩٩٤ بزيارة رابين سلطنةَ عمان على ضفاف الخليج.

غير أنّ الشعوب كان لها موقفٌ آخر تمثّل في الرفض التامّ لكلّ مواقف الحكومات ومعاهداتها مع العدو المحتلّ، ورفض كافة الضغوط التي مارستها القوى الاستعمارية الدوليّة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وتبلور هذا الرفض الشعبي في بروز عدّة منظّمات جهادية على الأرض الفلسطينية لتعلنَ للعالم أجمع عودةَ القضية إلى وضعها الطبيعي كقضية أمّة، ولتعلن الجهاد طريقًا وحيدًا لتحرير فلسطين كلّ فلسطين من النهر إلى البحر، وفي مقدمة هذه المنظمات حركةُ المقاومة الإسلامية (حماس) ومنظمة الجهاد الإسلامي، وطلائع فتح، وكما خرج كلُّ الغزاة مِن قبْلُ أذلةً صاغرين؛ فغدًا نشهدُ جلاءَ الصهاينة المحتلّين.

إنّ سقوط القدس في يدِ الصليبيّين قبل ذلك لم يكن إلّا لظروف مشابهة تمامًا لسقوط فلسطين في أيدي الصهاينة اليوم، كما أنّ انتصارنا على الصهيونية اليوم مرهونٌ بإيجاد الظروف التي كان عليها المسلمون عندما انتصروا على الصليبيّين، وقهروهم على العودة إلى بلادهم أذلّاء صاغرين.

فهذا هو الشاعر أبو المظفر الأبيوردي، ممثّل القرن الخامس الهجري في نادي الفكر العربي، وصفَ حالَ الأمة آنذاك عندما هاجمنا الصليبيّون:

مزجنادماءبالدّموعالسواجم

فلم يبق منّا عرضة للمراجم

وشر سلاح المرء دمعٌ يريقه

إذاالحرب شبّت نارها بالصوارم

أتهويمة في ظلّ أمن وغبطة

وعيش لنوار الخميلة ناعم

وكيف تنام العين ملء جفونها

على هفوات أيقظتْ كلّ نائم

وأقول: لقد نامت العيون خمسين سنة قبل أن يتحرّك الشرق العربي لمواجهة المحتل، والاحتفاء بدعوة قاضي دمشق إلى الجهاد في ديوان الخليفة بوصفها أول عملٍ مشهود مِن أعمال المقاومة.

استكانتِ الأمّة خمسين سنة معتمدةً على حكّامها الذين غرقوا في ملذّاتهم حتى ماتت منهم القلوب، ونامت منهم العيون، وغرقوا في مستنقعِ الانقسام والجبن والتّخاذل.

الباحثون الإسرائيليون يولونَ الصليبيّة عناية فائقة، يرونَ فيها التجربة السالفة، فالغزو الصهيوني يشبه في غزوه واحتلاله الغزوَ الصليبي، يهتمّون بالمشكلات التي واجهت الصليبية: الأمن، الاستيطان، والمستوطنات الحربية، نقص في الطاقات

البشرية. يدرسون الموقفَ في الشرق العربي الإسلامي عشيّة الهجمة الصليبية، ويحللون عناصره، ويدرسون كيف استيقظ الوعي في الأمة، وكيف تنادت فصائلُها للجهاد حتى صار الجهاد نهرًا جارفًا كسح أمامَه كلّ الصليبيين، وطهّر الأرض العربية من رجسهم. الصهاينة يدركون جيدًا أنّ الجهاد هو العملاق الكامن في قلب الأمة، ويخشون قيامه، ويروْن في هذا القيام قيامتهم ويوم زوالهم، وهذا هو السرّ وراءَ ذُعر الصهاينة من مجرّد كلمة الجهاد، ومحاولاتهم المستمرّة لمحْوها من قاموس العرب.

والدّارسون منهم للتاريخ عامّة وتاريخ الحروب الصليبية خاصّة؛ يدركون أنّ مصير الصهيونية كمصير الصليبيّة إلى زوال وهزيمة، ويرتجفون مِن هذا اليوم، ويحاولون تأخيرَه بكلّ وسيلة.

لقد أثبتت المقاومة الفلسطينيّة الباسلة في مواجهة ما سمّاه الصهاينة بعملية الجدار الواقي خلالَ هجومِهم الإجرامي في أبريل ٢٠٠٢ على الشعب الفلسطيني؛ أثبتتِ المقاومةُ أنّ فجر الجهاد قد بزغ، وأنّ الجهاد هو اللّغةُ الفصحى التي يفهمها المحتلّ الغاصب، وأنّ التاريخ قد دار دورتَه، وبدأ العدّ التنازلي للصهيونية المحتلة، وغدًا تتحرّر فلسطين، ويخرجون منها أذلةً صاغرين.

أهمُّ الأحداث التاريخيّة لفلسطين

العام	الحدث
٢٥٠٠-٢٠٠٠ ق.م	استقرار القبائل الأمورية والكنعانية العربية في فلسطين.
١٨٥٠ ق.م	هجرة النبي إبراهيم من العراق إلى فلسطين.
١٦٥٦ ق.م	نزوح أحفاد إبراهيم من فلسطين إلى مصر.
٩٣٣ ق.م	انتهاء حكم الملك سليمان بن داود، وانقسام اليهودية.
٧٣٢ ق.م	خضوع فلسطين للحكم الأشوري.
٧٢٢ ق.م	زوال المملكة الإسرائيلية.
٦٠٨ ق.م	عودة الحكم المصري لفلسطين.
٦٠٥ ق.م	خضوع بلاد الشام للكلدانيين.
٥٨٦ ق.م	زوال المملكة اليهودية وخراب القدس.
٥٣٨ ق.م	غارة الفرس على فلسطين.
٣٣٢ ق.م	غارة الإسكندر المقدوني على فلسطين.
٦٣ ق.م	دخول الرومان فلسطين.
٤٠ ق.م	دخول الفرس فلسطين مرة أخرى.
٣٨ ق.م	عودة الحكم الروماني للبلاد.
٤ ق.م	ولادة السيد المسيح ووفاة هيردوس الكبير.
١٣٥ م	إخماد ثورة «بركوكب» اليهودي ضد الرومان، وتشتت اليهود في أقطار العالم.
٢٦٧ م	احتلال زنوبيا ملكة تدْمر لفلسطين.
٢٧٢ م	انتهاء مملكة تدْمر وعودة الحكم الروماني للبلاد.
٦١٤ م	احتلال الفرس لفلسطين.
٦٢٧ م	عودة الحكم الروماني.
٦٣٦ م	الفتح الإسلامي لفلسطين.
١٠٩٩ م	دخول الصليبيين القدس.
١١٨٧ م	معركة حطين بين المسلمين والصليبيين.
١٢٦٠ م	معركة عين جالوت بين المماليك والتتار.
١٢٩١ م	تطهير فلسطين نهائيًّا من الصليبيين على يد المماليك.
١٥١٦ م	بداية الحكم العثماني.
١٩١٧ م	الاحتلال البريطاني ووعد بلفور.
١٩٤٨ م	إعلان دولة إسرائيل عقب الانسحاب البريطاني بساعات.

فلسطينُ في عهد العرب الكنعانيّين (نحو ٣٠٠٠ سنة ق.م)

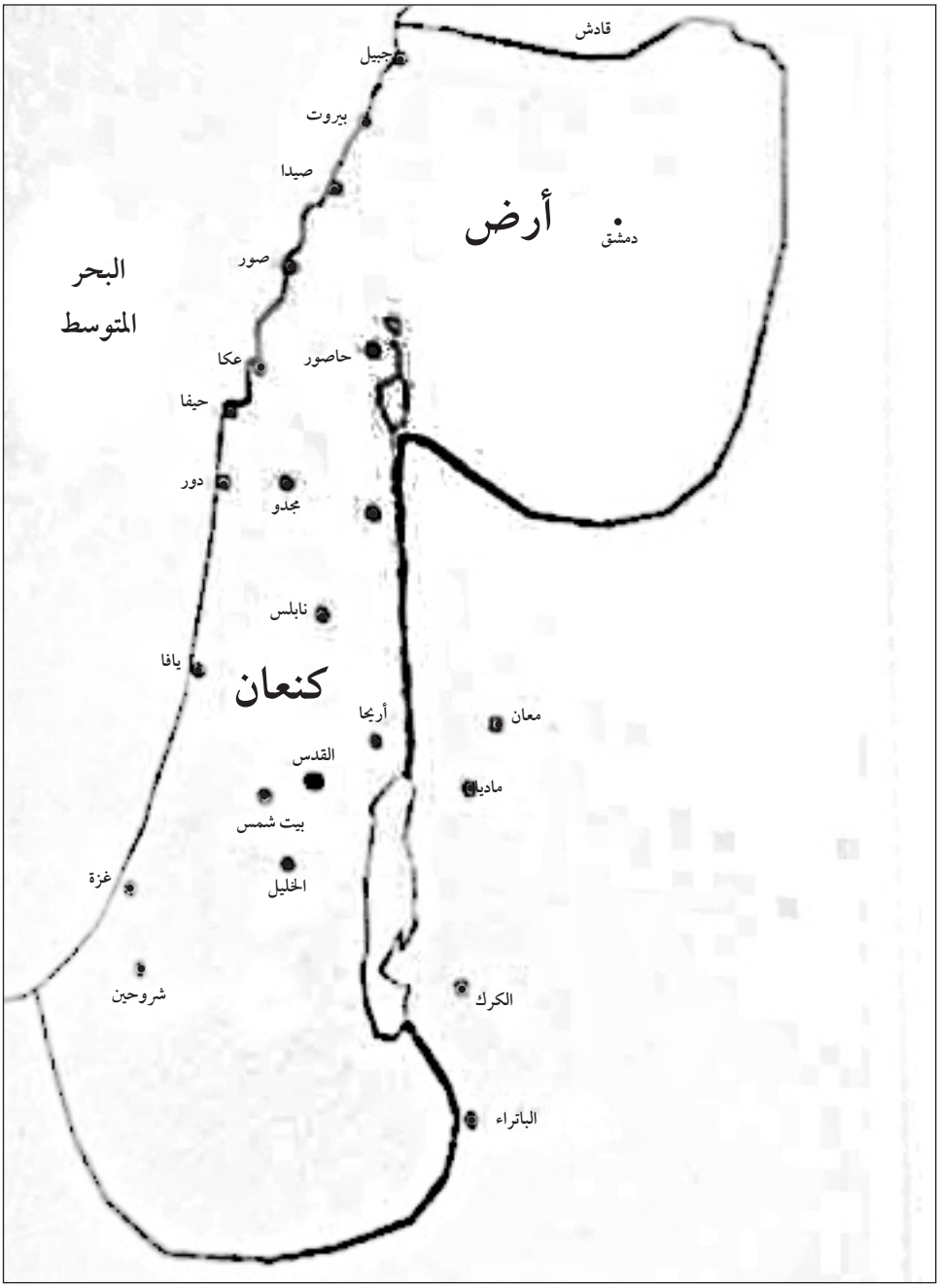

المصدر: الموسوعة الفلسطينية ـ الجزء الثالث ـ ص٦٦٩